

تفسير سورة النصر

للشيخ

هاني حلمي

حفظه الله

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وآله المستكملين الشرفَ، ثم أما بعد:

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمنا ينفعنا، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً.

ستتدارس بحول الله تعالى وقوته في هذا اللقاء المعاني التي اشتملت عليها سورة النصر

هذه السورة سُميت فى كلام السلف {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ}، وقد روى البخاري أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت لما نزلت سورة {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ}، فسمتها هكذا.

- **وسميت فى المصاحف وفى معظم التفاسير بسورة النصر** لذكر نصر الله فيها **فسميت** بالنصر المعهود،
- **وهى معنونة فى جامع الترمذى باسم** سورة الفتح **لوقوع هذا اللفظ فيها، فيكون هذا الاسم مشتركا بينها وبين سورة الفتح {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}،**

- وعن ابن مسعود أنها تُسمى سورة التوديع لما فيها من الإيماء إلى وداع النبي ﷺ أي الأشارة إلى اقتراب لحاقه بالرفيق الأعلى كما سيأتينا إن شاء الله تبارك وتعالى.

هذه السورة مدنية بالاتفاق، واختُلف فى وقت نزولها؛ فقيل نزلت منذ صرف النبى ﷺمن خيبر، أى فى سنة سبع ويؤيد ذلك مارواه الطبري والطبراني، عن ابن عباس : (لما نزلت { إذا جاء نصر الله والفتح . . . } إلى آخر السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك جاء فتح الله وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن؟، قال: قوم رقيقة قلوبهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفقه يمان) [الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: 1108/7، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن].

ومجيء أهل اليمن أول مرة هو مجئ وفد الأشعريين وكان هذا عام سبع من الهجرة أى عام غزوة خيبر.

ولم يختلف أهل التأويل أن المراد بالفتح فى الآية هو فتح مكة، وعليه فالفتح مستقبل دخول الناس فى دين الله أفواجًا، فعلى هذا قالوا بأنها نزلت فى هذا التوقيت (قبل فتح مكة)، وعن قتادة أنها نزلت قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين.

قال الواحدى عن ابن عباس: نزلت منصرفة من حنين، فيكون الفتح قد مضى ودخول الناس فى دين الله أفواجًا مستقبلاً، وهو ماحدث فى عام الوفود سنة تسع من هجرة النبي ﷺ.وقد روى البزار والبيهقي، وابن أبي شيبة، عن ابن عمر أنها نزلت أواسط أيام التشريق أى عام حجة الوداع، لكن هذا الأثر ضعفه ابن رجب لأن فيه موسى ابن عبيدة وهو ضعيف، وقال الأمام أحمد لا تصح الرواية عنه.

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عاش بعد نزولها نحو ثلاثة أشهر، وعليه فإن المعنى يكون عن الزمن الماضي، لأن الفتح ودخول الناس فى الدين قد وقع.

وقد تضافرت الأخبار رواية وتأويلاً أن هذه السورة تشمل على الإشارة والإيماء إلى اقتراب أجل النبي ﷺ، وليس فى ذلك مايرجح متى كان نزولها، إذ لا خلاف فى أن هذا الإيماء يشير إلى وقت مجئ النصر والفتح ودخول الناس فى الدين أفواجًا، فإذا حصل ذلك حان الأجل الشريف.

وفى حديث ابن عباس فى صحيح البخاري (هو أن أجل رسول الله ﷺ أعلمه له) [الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4970، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، قال: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ}، وذلك علامة أجلك {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ}.

وفى هذا ما يؤول ما جاء فى الأخبار فى الإشارة إلى اقتراب ذلك الأجل مثل ماجاء فى حديث ابن عباس عن البيهقى فى دلائل النبوة، والدارمي، وابن مرويّ (لما نزلت : { إذا جاء نصر الله والفتح } دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها ، فقال : إنه قد نعيت إلي نفسي ، فبكت ثم ضحكت ، قالت : وأخبرني أنه نعي إليه نفسه فبكيت) [الراوي: فاطمة بنت رسول الله المحدث: البيهقي - المصدر: دلائل النبوة - الصفحة أو الرقم: 167/7، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، فهذا دليل علي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه السورة فهم منها هذا المعنى وهو قرب أجله ﷺ

على هذا الاختلاف فالبعض يعدها السورة المائة والثلاث فى ترتيب نزول السور، ويقولون نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة النور.

عن ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن فتكون على هذا هى السورة المائة والأربعة عشر، نزلت بعد سورة التوبة لم تنزل بعدها سورة أخرى، والأثر عن ابن عباس إسناده صحيح وقد رواه مسلم (عن ابن عباس رضى الله عنهما: تعلم آخر سورة نزلت جميعاً، فقالوا له :ماهي؟، قال: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ})

[الراوي: عبيدالله بن عبدالله بن عتبة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 3024، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، **وعلى هذا هى آخر السور سورة كاملة وليس آخر الآيات كما قلنا فى دروس التدبر.**

عدد آيات هذه السورة ثلاث، وهي مساوية لسورة الكوثر فى عدد الآيات إلا أنها أطول من سورة الكوثر فى عدد الكلمات، وهى أقصر من سورة العصر، وهذه الثلاث متساوية فى عدد الآيات ثلاث آيات.

الغرض من هذه السورة:

الوعد بنصر كامل من عند الله أو بفتح مكة والبشارة بدخول خلائق كثيرة من الناس بعد هذا الفتح فى دين الله، ثم تشير إلى حادثة اقتراب انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وهذه السورة جاء في آخرها بأن الله تبارك وتعالى أمر نبيه ﷺ بأن يسبحه، وأن يحمده ويستغفر له بين يدي أجلهِ، هكذا دارت هذه السورة الكريمة.

قال الله تبارك وتعالى: {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا (٣)}.

- **{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} معنى ذلك:**

إذا: اسم زمان مبهم يتعين مقداره بمضمون جملة يضاف إليها.

إذا: اسم زمان مطلق يستعمل للزمن المستقبل غالباً.

{إِذَا جَآءَ}: ففى ذلك الإشارة إلى أن هذا شئ حادث.

(عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ -أى من هذا الطفل الصغير الصبي الذى يجلس مع الرجال الكبار؟-، فقال : إنه ممن قد علمتم ، قال : فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال : وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني ، فقال : ما تقولون

في : { إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا } حتى ختم السورة ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ـ وهذا هو المعنى الظاهر، وهذا الأثر مما ينبغي أن نستشهد به فى الفرق بين المعني الظاهرللآيات والمعني التدبري للآيات، أى أن الأنسان عندما يتدبرإنسان الآيات يفهم معانى أعمق، أى أن المعنى الظاهر:أن نحمد الله ونسبحه إذا نُصرنا وفتح الله علينا ـ وقال بعضهم ، لا ندري ، أو لم يقل بعضهم شيئا ، فقال لي : يا ابن عباس ، أكذلك قولك ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له : { إذا جاء نصر الله والفتح } فتح مكة ، فذاك علامة أجلك : { فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا } . قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم) [الراوي: عبدالله بن عباس المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4294، خلاصة حكم المحدث: صحيح].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي). يتأول القرآن. [الراوي: عائشة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 4968، خلاصة حكم المحدث: صحيح].

وعن أمنا عائشة –رضي الله عنها- كان رسول الله ﷺ يكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه". قالت فقلت: يا رسول الله ! أراك تكثر من قول " سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ؟ " فقال " خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي . فإذا رأيتها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. فقد رأيتها. {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (فتح مكة) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا}. [الراوي: عائشة المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: 484، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، فتأولها النبي ﷺ في ركوعه حيث كان في ركوعه يقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، وكان يذكر الله تبارك وتعالى فيقول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه.

وأظن هذا من السنن المهجورة أن نذكر الله تبارك وتعالى بهذا الذكر، فأمنا عائشة تقول أنه كان يكثر من ذلك في آخر أمره، ونحن أيضًا نحتاج أن نكثر مما أكثر منه النبي ﷺ بين يدي أجلنا ولا ندري متي يأتينا؟

✓ قالوا{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ} المراد بالفتح هنا هو فتح مكة قولاً واحدًا

فإن أحياء العرب كانت تتلون بإسلامها ويقولون: لئن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمضي سنتان حتى امتلأت جزيرة العرب بالمسلمين، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر الإسلام ولله الحمد والمنة.

وقد روى البخاري في صحيحه، عن عمرو بن سلمة، قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلون بإسلامها ـأى تتزرع وتتدعي أنه إذا حدث الفتح يكون هذا أمارة على صدق نبوتهـ فكانوا يقولون دعوه وقومه فإن ظهرعليهم فهو نبي.

{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا (٣)}.

- قوله سبحانه وتعالى: {وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ} أى العرب، {يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا} أى جماعات فوجًا بعد فوج، وذلك كما قلت بعد فتح مكة، وبعد أن تحججت العرب بهذا الأمر وهو ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على قومه.

{إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا (٣)}، أي إذا صليت فأكثر من ذلك، وقيل معنى سَبِّحْ أي صلِّ والصلاة يطلق عليها التسبيح، كما كان النبي ﷺيقول تسبيح الضحى، أي صلاة الضحى، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} أي حامدا له على ما آتاك، بِحَمْدِ بمعنى الحال أي حال كونك حامدا ربك سبح واحمد ربك، {وَٱسْتَغْفِرْهُ

ۚ} أي سل الله الغفران مع مداومة الذكر، {فَسَبِّحْ} أي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له.

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا} وهنا وقفة ينبغى أن نقفها فى قوله سبحانه وتعالى {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)}، وفي فهم ابن عباس وعمر لهذه الآية بأنها أخبرت بأجل الرسولﷺ، ابن القيم –رحمه الله- في كتابه إعلام الموقعين كلام نفيس حول دقة هذا الفهم والتدبر الذي أوصلهم إلى فهم أن الآية تقصد أجل النبي ﷺقال ابن القيم رحمه الله: "وهذا من أدق الفهم وألطفه ولا يدركه كل أحد لأنه سبحانه وتعالى لم يعلق الاستغفار بعمله كما قال سبحانه وتعالى مثلاً في قوله {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} [الشرح/1-2] وإنما علقه بما يُحدثه هو سبحانه وتعالى من نعمة ومن فتح على النبي ﷺودخول الناس في دينه وهذا ليس سبب الاستغفار، فعُلم أن سبب الاستغفار غير ذلك؛ أى لا يوجد علاقة بين الفتح والنصر ودخول الناس في دين الله والاستغفار فهذا فضل يستوجب الشكر، فلو توقف لفظ القرآن عند {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ} لكان هذا واضحًا ولكن لما قال بالاستغفار عُلم أن سبب الاستغفار غير فتح الله تبارك وتعالى، ولذلك فهم الصحابة هذا الفهم الدقيق الرائع وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده أن يوفقه بين يدي أجله لعمل صالح، كما قال النبي ﷺ: (من يرد الله به خيرًا يصب منه) [الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 5645، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، وقال: (إذا أراد الله بعبد خيرًاعسله، قيل: وما عسله؟ قال: يفتح له عملاً صالحًا بين يدي أجله ثم يقبضه عليه) [الراوي: أبو عنبة الخولاني المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: 307، خلاصة حكم المحدث: صحيح]، فهذا ليلقى العبد ربه طاهرًا مطهرًا من كل ذنب فيقدم مسرورًا راضيًا مرضيًا عنه.

ويدل قوله تعالى {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ} آخر سورة النصر- وهوصلى الله عليه وسلم كان يسبح بحمد ربه دائمًا- فعُلم أن المأمور به من التسبيح بعد الفتح ودخول الناس في الدين أمر أكبر من ذلك، لذلك النبي ﷺ كان

يسبح بحمد الله عز وجل وكان يأمر الصحابة ويأمر الأمة بتسبيح الله تبارك وتعالى والاكثارمن قول سبحان الله وبحمده يقولها صباح مساء لتُغفر له ذنوبه، وأصانا بالحبيبتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لتغرس لنا نخلة في الجنة وكان ﷺ يفعل ذلك...لماذا التأكيد على ذلك؟

قال ابن القيم:هذا لبيان أن هناك أمر أكبر يقتضي منه زيادة فى التسبيح وهو أنه سيقدم على رب العالمين وأنه قد بقيت عليه من عبوديته التسبيح والاستغفار ماينبغي أن يفعل حتي يرتقي إلي ذلك المقام العالي الذي اختصه الله به، فأمره بأن يوفي ذلك حتى يصل إلي هذه الدرجة، وأيضًا سبحانه وتعالى شرع التوبة والاستغفار في خواتيم الأعمال؛ فشرعها في خاتمة الحج وقيام الليل، وكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثة، وشُرع أيضًا للمتوضئ بعد كمال وضوءه أن يقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

➢ إذًا نستفاد مجموعة من الفوائد الخطيرة في الطريق إلي الله عز وجل:

1- يشرع ويستحب الاكثار من التسبيح والتحميد لأن الإنسان منا لا يدري خاتمة عمله.

2- أن التسبيح والتحميد من الأمور التي تُعلي درجات الإنسان، ويشرع له كثرة الاستغفار وتجديد التوبة عُقيب الأعمال الصالحة، فإذا صمت رمضان أو قمت رمضان عليك بالتوبة بعد رمضان لا تقل أن رمضان كان شهر التوبة وانتهى الأمر، إذا بك يأتي عليك زمان العشر الأول من ذي الحجة تجتهد فيه زمان أعظم أيام الدهر ينبغي عليك في أيام التشريق والعيد أن تتوب إلي الله تبارك وتعالى ليتقبل عملك، أديت الصلاة تستغفر، أديت صيام يوم عليك عند الفطر أن تجتهد فى الدعاء ويكون من جملة ذلك أن تدعوا بأن يغفر الله لك لأن التوبة مشروعة عُقيب الأعمال الصالحة، فأمر الله النبي ﷺ بالاستغفار عُقيب توفيّته ما عليه من تبليغ الرسالة والجهاد، أديت الأمانة فعليك الآن أن تشرع في هذا الاستغفار، ومعلوم أن ربنا تبارك وتعالى ندب الاستغفار في الخواتيم كما قال

سبحانه وتعالى في شان المستغفرين بالأسحار، وهذا يكون في آخر قيام الليل، وهذا أفضل العمل في هذا الوقت الذي هو قبيل الفجر.

إذا السورة علمتنا عدة دروس:

1- درس في تدبر القرآن كيف يكون؟ الآن المعنى غير واضح تمامًا للوهلة الأولى، ولكن الذي يمعن في المعنى ويتأمل فيه يصل إلي هذه النتيجة التي بُلغها عمر الفاروق الملهم وابن عباس ترجمان القرآن اللهم علمه التأويل.

2- وفهمنا من هذه السورة معنى جميل في أن مستقبل الاسلام سيأتي لا محالة نصر الله والفتح، {أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة/214]، فهي رسالة لكل من يغلب عليه الشيطان وييأسه ويقنطه ويشعره بأن الاسلام لن تكون له الغلبة والدولة في ظل هذا التكالب من الأمم على المسلمين في كل مكان، والوقوف دون تطبيقهم لشرع ربهم بل علينا أن نحارب هذا بشعور ويقين بأن الاسلام قادم، سيجئ والله نصر الله والفتح، والله الذي لا إله غيره سيأتي نصر الله والفتح، وسيدخل الناس في دين الله أفواجًا ولكنكم تستعجلون والله ليكونن هذا، ليس لأني أقول ذلك ولكن لأن النبي ﷺ بشر الأمة بالتمكين وبشرنا بالتمكين ووعدنا ربنا تبارك وتعالى بذلك، فكونوا على ذكر من سورة النصر، وتذكروا أن الله تبارك وتعالى سمى نفسه النصير، وأنه لن يخذلنا إذا حققنا شرط المعادلة -شرط معادلة التمكين- قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض) [الراوي: أبي بن كعب المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الترغيب - الصفحة أو الرقم: 23، خلاصة حكم المحدث: صحيح] ، والله ليكونن ذلك الثناء.

ستكون هذه الأمة المشرقة في العالم وسيعلو دينها على كل ملة ودين مخالف وسيرتفع شأن هؤلاء الذين سيرفعون راية التوحيد وسينصرهم رب العالمين ويمكن لهم في الأرض ويُري المشركين والكفار والمنافقين الآيات، {وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم/14]، هذا شرط المعادلة حتى يأتي نصر الله والفتح.

وفي الحديث (بشر هذه الأمة بالسناء و الدين و الرفعة ، و التمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب)

[الراوي: أبي بن كعب المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الترغيب - الصفحة أو الرقم: 23، خلاصة حكم المحدث: صحيح].

إذًا معادلة التمكين حتى يأتي نصر الله والفتح:-

1- الإخلاص: أن نعمل عمل الآخرة لله تبارك وتعالى ولا نبتغى بأعمالنا إلا وجه الله تبارك وتعالى، فيكون شعار المؤمن {إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ} [الليل/20]، **حتى يحصل {وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ}** [الليل/21]، **كما ذكرنا في سورة الليل.**

2- الأمر الثاني هو قول الله تبارك وتعالى: {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم/14]، **أي خشية الله تبارك وتعالى التي تنشأ عن معرفة الله تبارك وتعالى حق المعرفة.**

3- ماجاء في آية التمكين في القرآن لما قال الله تبارك وتعالى: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ (الشرط) يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ (إقامة التوحيد) وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ(٥٥) وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور/55] **هذه هي معادلة التمكين.**

➢ معادلة التمكين في نقاط :

1) الإخلاص.
2) التوحيد وعدم الشرك.
3) إقامة الصلاة.
4) إيتاء الزكاة.
5) طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه.

6) خشية الله تبارك وتعالى {ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم/14].

إذا حققتم هذه الأمور الست فإنكم على وعد من الله أن يأتى بنصر الله والفتح وترون ما يثلج الصدور بالبشارة لكل مؤمن {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ} [الصف/13]، {وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)} [النصر/2].

فعلينا حتى يتحقق هذا الأمر أن يكون هذا ديدننا تحقيق هذه المعادلة بشروطها { وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران/139]، أي تحقيق الإيمان عمليًا بالأمور الست التي ذكرتها.

وعلينا أن تُوجد في هذه الأمة هؤلاء القوم الذين يقومون بواجب استقطار الرحمات، الأشخاص الذين تتنزل بهم الرحمات، الذين هم عبادٌ ركع، الذين يذكرون الله آناء الليل وأطراف النهار، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، والذين يستغفرون الله تبارك وتعالى ويسبحونه ويحمدونه.

هنا لطيفة فذكر التسبيح والحمد والاستغفار، فلماذا اختصت هذه ثم ترتب على هذه توبة الله تبارك وتعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا} التسبيح في القرآن يحثنا على الذل لله تبارك وتعالى، وقلنا أن التسبيح تنزيه الله عن العيوب، وهذه العيوب يراها الإنسان منا في نفسه فينبغي أن يسبح الله تبارك وتعالى وينزهه عن كل نقص ويرى في نفسه هذا النقص حتى يجبر الله هذا النقص.

هنا في حق النبي ﷺ هناك نقص في بعض العمل حتى يصل إلي أعلى الدرجات فأمر بالتسبيح، أنت كذلك عندك عمل قمت به، لكن ليبلغك المنزلة عليك بكثرة التسبيح؛ قد يكون عندك مشكلة ما فقد يكون هناك كبر خفي في قلبك عليك بالتسبيح كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ} [الأعراف/206]، فالتسبيح في {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ}.

- فسَبِّحْ فيها أن يرى الإنسان عيبه وإذا رأى عيبه ذل لله وانكسر،
- بحَمْدِ: الحمد يستوجب حب الله تبارك وتعالى وأن حمد الله تبارك وتعالى يكون على نعمه وآلاءه {فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن/13]، {فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ} [النجم/55]، فيكون على نعم الله تبارك وتعالى، ومن عرف الله تبارك وتعالى وعَدَدَ نعمه أحبه.

إذًا {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}: ذل وحب اللذان هما مدار العبودية.

- {وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ}: العبد منا إما أن يكون في بلية والتي عادة تكون بسبب عيب فيه فينبغي على هذا العبد أن يتذكر حال ذلك بما كسبت يداه وأن الله سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد، فسبح ربك وتذكر عيبك حال بليتك ليهون عليك أمر الصبر، أو أن يكون الإنسان في عافية ونعمة وهنا أحمد ربك وتذكر نعمه عليك، أو أن يكون الإنسان على معصية حين إذن عليك أن تتوب وتستغفر.

فجمع الأمر كله {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ} ورتب على ذلك حصول التوبة {إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا} وهي الصيغة التي تدل على مدى توبة الله تبارك وتعالى على عبيده، التواب: هذه صيغة من صيغ المبالغة وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يتوب على عبده ولا يمل -سبحانه وتعالى- حتى يمل عبده، فلا ينبغي أن تيأس ياعبد الله وإن كثرت عيوبك، فعليك أن تسبح الله، وأن كثرت نعم الله عليك فوفي بشكر الله واحمد ربك.

وحينئذ نتذكر {إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا} واشتملت الجملة على أربع مؤكدات: إن، كان، صيغة مبالغة، تنوين التعظيم توابًا، دلالة على مدى تأكد هذا المعنى ولا ينبغي لأحد أن يسيطر عليه أويستحوذ عليه الشيطان فينسيه أن الله كان توابًا، فهي من الآيات الجميلة الرقراقة، ذات المعنى

- الذي يسكب في القلوب الرجاء وحسن الظن في الله والمحبة لله تبارك وتعالى، فمع آثمنا ومع ذنوبنا ومع خطايانا إلا إنه كان توابًا،

- فلا ينبغي لأحد بعد أن سمع هذه الآيات إلا أن يفرح بنصر الله ويوقن بحدوث ذلك عاجلاً بإذن الله غير آجل،
- وأن يقوم لله بشروط التمكين وأن يلهج لله بالتسبيح والاستغفار،
- وأن يحسن الظن بالله تبارك وتعالى،
- وأن يعرف ربه بهذه الصفات حتى لا ييأس ولا يمل من ربه ويعلم أن ربه يتوب عليه وإن بلغت ذنوبه عنان السماء أو بلغت قراب الأرض فإنه كان توابًا.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب علينا وأن ينصرنا وإياكم وأن يأخذ بأيدنا وأيديكم إليه أخذ الكرام عليه إنه ولى ذلك والقادر عليه،

فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلي الله إن الله بصير بالعباد،

صلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.